بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلية العلوم الاسلامية- قسم العقيدة والفكر الاسلامي.

المحاضرة الثانية . جمع وترتيب: د. محمد خليل ابراهيم.

حالة العقائد الدينية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين (١١-٤١هـ)

أ. في عهد النبي ﷺ.

جاء الإسلام يقرر أنّ الدين الحق واحد ، هو وحي الله إلى جميع أنبيائه و إنّ أصوله ثابتة لا تتبدل. بخلاف الشرائع العملية فهي متفاوتة بينهم ، و هي حق و خير ما لم تنسخ .قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ...) المراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله و توحيده و أصول الدين ، دون الشرائع فإنها مختلفة ، و هي هدى ما لم تنسخ ، فإذا نسخت لم تبقَ هدى ، بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبداً) .و قد تألف الدين الإسلامي من عنصرين متمايزين في الواقع :أصول وفروع . و بتعبير آخر : عقيدة و شريعة .

أمّا العقيدة فقد استوفى الله أصولها كلها في كتابه المجيد و بينها الرسول الكريم بقوله و فعله أتمّ بيان . و كان ـ عليه الصلاة و السلام ـ يحاور أهل الكتاب ، و يجادل المشركين ، و يجيب عن أسئلتهم ، إذا لم تظهر عليها سمة الجدل و العناد ، و كانت تتناول أدق مسائل العقيدة ؛ في معرفة الخالق ، و البعث و الجنّة و النار ، و النبوة ، و حقيقة الإيمان .حكى ابن هشام أنّ جماعة من اليهود أتوا رسول الله و سألوه : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فغضب الرسول حتى امتُقع لونه ثمّ نزل : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ..) .و عندما تلا الرسول قوله تعالى : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) ، سأله فريق من المشركين أكل ما يعبد من دون الله في جهنّم مع من عبده ؟ كيف ذلك فنحن نعبد الملائكة ، و اليهود تعبد عُزيراً ، و النصارى تعبد عيسى بن مريم ... فأجاب الرسول : (كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده)،و نزل قوله تعالى : (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ) . و لكن الرسول الكريم لم يكن يلجأ الى الجدل إلا في مقام دعوة الخصوم الى الدين ، و صرفهم عن أباطيلهم ، إذا ما تبين له استعدادهم لذلك ، و كان ينهى المسلمين عن ممارسته بقصد تحصيل شيء من أصول الدين ، و يأمرهم بالوقوف فيها عندما جاء به. و أمّا الشريعة : فقد اشتمل الكتاب المجيد على مبادئها و أصولها العامة و أكثر أحكامها الجزئية ، و بيّن الرسول الكريم تلكم المبادئ و الأصول و نمّاها بما سنّه من قواعد عامة ، و من أحكام جزئية ، كما أنّه ترك الباب مفتوحاً لإنمائها و ذلك بتقريره لمبدأ الاجتهاد و النظر. فهم صحابة الرسول تلكم المعاني ، فكانوا يكرهون البحث و الجدل في أصول العقيدة ، بينما كانوا لا يتحرجون من النظر و الاجتهاد في الشرائع العملية . بالجملة فقد مضى زمن و المسلمون على

عقيدة واحدة هي ما جاء في و كتاب الله ، لأنهّم أدركوا زمان الوحي و شرف الصحبة ، وأزال نور الصحبة ظلم الشكوك والأوهام.

ب. **حالة العقائد الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين (١١-٤٠هـ).**

عاش الصحابة رضوان الله عليهم في العهد النبوي في جوٍ يسوده الانضباط في كافة المناحي؛ الإيماني منها، والأخلاقي، والعلمي، والسلوكي.. فقد كان النبي ﷺ، نبيًا، وصاحِبًا، ومعلِّمًا، وقدوةً، ومثالًا يُحتذى به، ودائمًا ما كان يتعهَّد صحابته رضوان الله عليهم، بالنُّصح والإرشاد والتعليم، وكان الصحابة بدورهم مُتلقِين أفذاذ، وتلاميذ نُجباء لمُعلِّمهم الأعظم، ونبيهم الأكرم، الذي ما ترك شاردةً ولا واردةً في أمر دينهم، أو دنياهم، أو شؤونهم النفسية، إلا وكان له ﷺ أثر صريح؛ إما قولًا، وإما فعلًا، وإما أقرارًا، وفي مُقدِّمة هذا كان الوحي القرآني هاديًا ومُرشدًا ومُنيرًا لدروبهم، ومعينًا لهم في حالة البناء "الروحي" التي يُشرِف عليها النبي ﷺ.

ان المتأمل لهذا العهد يجد ان حالة العقائد الدينية لم تتغير، وانما وقع خلاف في جملة من المسائل العملية، الا ان بعض تلكم الخلافات العملية ارتفع شأنها حت صارت ذات صلة بمسائل العقيدة، واساسا لقيام كثير من الفرق الاسلامية فيما بعد، وكان اخطرها: منها مسالة الخلافة، ثم استقر الرأي على استخلاف ابي بكر –رضي الله عنه، واختلف المسلمون في عهد ابي بكر –رضي الله عنه- في مسالة قتال مانعي الزكاة ...، والتنصيص في الخلافة...، ثم اختلف المسلمون في عهد عمر–رضي الله عنه- في شان أرض السواد، وأمر الخلافة ، ثم اختلفوا في بعض اعمال عثمان-رضي الله عنه- والخروج عليه ...،وبعد ان بويع الامام –رضي الله عنه- اختلف الناس في مسألة التحكيم وخروج الخوارج وقتال الصحابة فيما بينهم ، ويمكن القول ان الامام علي –رضي الله عنه- اكثر الصحابة لجوءاً الى المناظرة وذلك يرجع الى انه اكثرهم مشاركة في توجيه الاحداث، وامتد به العمر فشهد دوخل المجتمع الاسلامي مرحلة جديدة وخطرة، كما انه كان الشخصية المحورية التي اتخذتها احداث الفتنة محورا لها.

وجملة القول: إن سمات البناء العقدي عند الصحابة كان بناءٌ صلبٌ لم يتخلَّله شك أو رِيّبة فيما جاء به النبي ﷺ، ولهذا ظل الصحابة وظل مجتمعهم مِثالًا يحتذي به في صلابة العقيدة وقُوتها وسلامتها، فلم يُنقل لنا أن صحابيًا -ربَّاه النبي ﷺ- اعترض

على حكمٍ إلهي، أو أمرٍ نبوي، أو شكَّ في شيء جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل كان ديدنهم التسليم للنص، والإذعان التام لأوامر النبي ﷺ، فلقد تميز هذا الجيل بقوة العقيدة وسلامتها، وكان الجيل الأول على عقيدة نقية صافية، ببركة صحبة النبي، - ﷺ -، وقرب العهد بزمانه، ولما فُطِروا عليه من سليقة تمكنّهم من الفهم بعد التلقي، وهذا جعلهم يتركوا التوغل والتكلف في النظر والحوار، وانهم ما كانوا يلجؤون الى شيء منه الا في معرض اثبات عقائد الدين، ودفع الخصوم المتربصين.